مدرسة قد سمح

بشرح المهندس علاء حامد

ملخص المحاضرة الثامنة

علاء حامد

Alaa Hamed

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد، مرحبًا بكم في اللقاء الثامن من دورة مدرسة "قد سمع". أنهينا بحمد الله سورتي المجادلة والحشر، ونحن الآن نتابع دراسة سورة الممتحنة وبفضل الله أنهينا الجزء الأول من السورة الذي تناول معاني الولاء والبراء وقصة سيدنا إبراهيم وما يسمى بالديانة الإبراهيمية.
واليوم نكمل الجزء الثاني، وهو الأصعب لما فيه من أحكام دقيقة. نرجو التركيز ونسأل الله التوفيق لتبسيط المعاني وإتمام السورة بإذن الله.
وقبل الإنتقال إلى المشهد الأخير، نقرأ قول الله تعالى
(الآية 7)
{ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }
هذه الآية تفتح باب الأمل لكل إنسان، فهي تربط القلب بالله القادر على تغيير القلوب وهداية من يشاء.

أستعن باسم الله القدير على هدايتي وهداية أهلي ومن أدعوهم، فمهما ابتعد الإنسان فالله قادر على أن يرده.
فقد اهتدى أبو سفيان، وصفوان بن أمية، وعكرمة، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص
الله غيّرهم قادر على أن يغيّرني ويغيّر غيري.
(الآية 8)
{ لَا يَنْهَىٰكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }
الآية تتحدث عن الكفار غير المحاربين الذين لا يظهرون عداءً أو اعتداءً،
مثل: الذمّي المستأمَن والمُعاهَد.
لا ينهانا الله عن الإحسان إليهم.
البرّ: هو فعل الخير وبذل المعروف
القسط: هو العدل في المعاملات كالبيع، والقضاء، والتحاكم.
جواز الإحسان والعدل مع غير المحاربين، وعدم جواز موالاة الكافر لأنها محرّمة أصلًا للمحارب أو غير محارب، قال تعالى:
{ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ } (الممتحنة: 13)

{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ } (الممتحنة :1)

معنى الموالاة :

الموالاة هي المحبة، النصرة على المسلمين، خاصة في حرب دينية. هي التشبّه بالكفار، أو اتخاذهم بطانة مقربين، أو طاعتهم في معصية الله، فضلًا عن طاعتهم في الكفر، قال تعالى:

{ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا } (الإنسان:24)

أمثلة على البر بالكفار

الإحسان، الإطعام، قبول الهدايا، الزيارة، البيع والشراء، والزواج المشروع من أهل الكتاب بشرط أن تكون حرة عفيفة. وكذلك الزيارة أو تبادل الهدايا.

سبب نزول الآية :

نزلت هذه الآية بسبب حادثة تتعلق بأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

فأمها قتيلة بنت عبد العزّى كانت مطلّقة قبل الإسلام، ولم تُسلم حتى بعد الهجرة. وبما أن أبا بكر تزوّج أكثر من زوجة، فإن أسماء تكون أخت السيدة عائشة من الأب فقط، بينما هي أخت عبد الله بن أبي بكر من الأب والأم معًا.

جاءت قتيلة إلى المدينة لزيارة ابنتها أسماء، جالبة لها الهدايا. وبسبب شدة حرص أسماء على الالتزام بالبراء من المشركين،

ذهبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تسأله:"يا رسول الله، إن أمي قد قدمت راغبة."أي: ترغب في زيارتي، وفي إعطائي هدية، وليس المقصود راغبة في الإسلام، فهي لم تُسلم بعد.ثم سألت: "أفأصلها؟" أي: هل أصلها بالزيارة وأقبل هديتها؟فحكم النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "اقبلي منها الهدية، وصِليها، وأحسني إليها."

فالآية تؤكد أن الإحسان للكافر غير المحارب جائز، وهذا يشمل الهدايا، الإطعام، والعدل في المعاملة، كما قال تعالى:

{ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا } (الإنسان:8)

والأسير لا يكون إلا كافرًا، مما يدل على جواز الإحسان إليه.

تحريم تهنئة الكافر بأعياده الدينية

استدل البعض بالآية الكريمة على جواز تهنئة الكفار بأعيادهم الدينية، وهذا خطأ.

الصحيح — والله أعلم — كما ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه أحكام أهل الذمة، باتفاق جميع العلماء على عدم جواز تهنئة الكافر بأعياده الدينية.

ذلك لأنها ترتبط بمعتقدات شركية يعتبرها المسلم كُفرًا، مثل الاحتفال بميلاد المسيح أو قيامته من الموت، أو أي أعياد مبنية على عقائد شركية. فهذه الأعياد لا تليق بجلاله سبحانه تعالى.

قال تعالى: { وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ }

(الفرقان:72)

قال الصحابة في تفسير هذه الآية: لا يشهدون أعياد الكافرين وشركياتهم.

موقف المسلم يوم عيد الكافر : لا يؤذيه، ولا يهنّئه، ويمرّ اليوم كأي يوم عادي.

قال ابن القيم :

إن تهنئة الكفار بأعيادهم من أشدّ المحرمات عند الله تعالى، بل أشد من فعل الكبائر.

وعلى المسلم التبرأ من العقائد الباطلة، كما قال تعالى:

{ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ }

(الممتحنة:4)

عدم التهنئة بالأعياد الدينية لا علاقة له بحسن المعاملة اليومية.

يجوز تهنئة الكفار بالمناسبات الدنيوية

إذا كان للكافر مناسبة غير دينية: رُزِق بولد، تزوّج، ترقّى في عمله، اشترى سيارة، فيجوز تهنئته.

لأنها أمور مشروعة في جميع الشرائع، وتدخل فعليًا في البرّ والقسط.

أثر تهنئة الكافر على الدعوة

التهنئة بأعياد الكفار تُعدّ سببًا لصدهم عن سبيل الله؛ لأنها توحي لهم بأن معتقداتهم صحيحة، وأن المسلم يقرّها، مما يضعف أثر الدعوة ويجعل إقناعهم بفساد هذه العقائد أصعب.

وقد يقول الكافر:

"إذا كنتَ قد هنّأتني بعيد ديني، فكيف تزعم بعد ذلك أنه باطل؟"

ولذلك كان من مصلحة الدعوة ترك التهنئة؛ لأنها تُثير في ذهنه سؤالًا:

"لماذا لا يهنئني المسلم؟"

والجواب يكون: "لأنه يرى هذا العيد مبنيًّا على عقائد محرّمة وباطلة."

وقد يكون هذا الباب مدخلًا لتفكيره، ومن ثمّ هدايته بإذن الله.

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }

المقسطين: العادلين الذين ينصفون الناس ويعطونهم حقهم سواء بين المسلمين أنفسهم أو مع غيرهم من الكفار.

العدل قد يزعج الناس أحيانًا، لكن الآية تؤكد وجوب تقديمه، والله هو من يعوّضك عن غضب الناس فيحبك.

مما يدل على عظم الإسلام وسماحته في تطبيق العدل.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"إن المقسطين عند الله على منابر من نور يوم القيامة على يمين الرحمن عز وجل."

العدل مع المخالفين والعلماء والدعاة

إذا كان العدل مع الكافر مطلوبًا، فالأولى أن يكون مع المبتدع أو الضال أو العاصي، ويجب إنصاف المخالف إذا أصاب،

حتى وإن اختلفنا معه في العقيدة أو المنهج.

قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الشيطان: "صدقك وهو كذوب"

العدل مع العلماء والدعاة وطلبة العلم :

ويشمل العدل من يخالفك في الرأي أو الاجتهاد، فيجب الإعتراف بالحق عند الخصم، وعدم المبالغة في أخطائه أو تجاهل فضله.

في زمن كثرت فيه الخصومات والشتائم على وسائل التواصل، يظل العدل والإنصاف فئة قليلة جدًا، وهو ما يميّز المقسطين حقًا.

(الآية 9)

{ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }

ظاهروا: أعانوا غيرهم على إخراجكم، فلا تولوهم أبدًا.

(الآية 10)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }

هذا الجزء من السورة نزل بعد صلح الحديبية ومرتبط به تاريخيًا.
{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ }
تكريم المرأة في جزء "قد سمع"
فكم مرة كُرّمت المرأة في هذا الجزء.
الآية الكاملة نزلت في المهاجرات.
والسورة نفسها نزلت بسبب امرأة: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وقد كان من أشد الناس إيذاء للنبي، فأسلمت ابنته وفرّت بدينها، فكرّمها الله بنزول حكم خاص بسببها.

أهمية معرفة السيرة لفهم سياق الآيات، وتسهيل إدراك الكثير من القرآن.

صلح الحديبية

في السنة السادسة من الهجرة، أراد النبي صلى الله عليه وسلم أداء العمرة مع الصحابة. وكان المعتاد في جزيرة العرب ألا يُمنع أحد من أداءها، فظن النبي أن قريش لن تمنعه، لكنها تعنتت عند الحديبية، على أطراف الحرم.

مفاوضات صلح الحديبية

النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد القتال، أرسلت قريش العديد من المفاوضين، آخرهم سهيل بن عمرو ، الذي تم على يديه الصلح وأسلم لاحقًا.

وتم الاتفاق على الشروط التالية:

1. تأجيل أداء العمرة هذه السنة، والسماح بها في السنة التالية.
2. وقف الحرب عشر سنوات بين المسلمين وقريش، مما أتاح وقتًا للدعوة والتخطيط وفتح خيبر لاحقًا.
3. إرجاع من أسلم وهاجر إلى المدينة من قريش دون إذن وليه، بينما لا ترد قريش أحدًا من المسلمين رجع إلى مكة.

رغم أن بعض الشروط بدت صعبة، تمت الموافقة عليها حفاظًا على مصلحة أكبر، فقد وفرت الهدنة السلام وأمّنت الطريق لإنجاز مصالح عظيمة للمسلمين.

موازنة النبي صلى الله عليه وسلم بين مفسدة محدودة ومنفعة كبرى.

هجرة أم كلثوم

بعد صلح الحديبية، هاجرت أم كلثوم إلى المدينة، وقد كان أبوها عقبة بن معيط قد قتل في بدر. أما أخوها عمارة، وأخوها الوليد، أرادا إعادة أم كلثوم إلى مكة فذهبوا للنبي صلى الله عليه وسلم لإرجاعها، حسب شروط الصلح

فنزلت آيات لتوضيح حكم الهجرة بالنسبة للنساء، وأن شروط صلح الحديبية كانت متعلقة بالرجال فقط، لا تشمل النساء.

كان في صياغة الصلح، بما ورد: "على ألا يأتيك منا رجل إلا رددته إلينا."

إذن، الشرط لا يشمل النساء، ومن هنا رفض النبي صلى الله عليه وسلم إعادة أم كلثوم إلى مكة، لأنها هاجرت مؤمنة، وكانت حرة في اختيار مصيرها.

بعض الروايات تقول أن النص في صلح الحديبية كان: "على ألا يأتيك منا أحد إلا رددته إلينا."

بما أن المكتوب "أحد"، فهذا يعني رجلاً، والنساء خارج الإتفاق.

القرآن الكريم أكد على استثناء النساء ضمن هذا الحكم الصريح للرجال.

قاعدة

ذكر علماء الأصول أن القرآن يمكن أن يخصص السنة، أي يبين أن الحكم العام لا يشمل بعض أفراده.

{ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ}

الله سبحانه وتعالى فصل بين الرجال والنساء في هذا الحكم، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعدم رد النساء إلى المشركين، بينما تبقى المعاهدة مستمرة بحق الرجال فقط.

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ}

الإمتحان وفيه قولين:

القول الأول:

التأكد من أن المرأة قد هاجرت رغبةً في الإسلام، وليست هاربة لأسباب دنيوية أو شخصية: كمشاكل مع زوجها، أو راغبة في المال، أو انتقام أو نقمة على أهل مكة.

فأن تنطق الشهادتين؛ صادقة، فهي قد أسلمت.

القول الثاني:

يشمل القول الأول إضافة إلى

البيعة على أحكام الإسلام:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ}
(الممتحنة: 12)

بعد هذا الإمتحان، المرأة لا تُرد أبدًا إلى المشركين.

دخول الإسلام يكفي فيه الشهادتين، ولكن قبول أحكام الإسلام واستمرارها دليل على استقامتها في الإسلام.

حماية المرأة المهاجرة في الإسلام
أمر الإسلام بإنهاء عصمة المرأة المسلمة عن زوجها الكافر بعد الهجرة، ومنع تمكين الكفار منها؛ لأن إعادة المرأة إليهم قد تعرّضها للإكراه أو الضغط الديني أو الاعتداء والتعذيب.
طبيعة المرأة أنها أضعف من الرجل في مواجهة القوة أو الإكراه.

هذا الحكم يدلّ على عناية الإسلام العظيمة بكرامة المرأة، وصيانة دينها، ومراعاة إختلاف قدرتها على التحمل في ظروف الخطر.
حماية المرأة تحت رعاية المسلمين بعد الهجرة :
عندما تهاجر المرأة المسلمة، يتولى المسلمون حمايتها من المشركين وأي تهديد محتمل. فإذا نطقت الشهادتين، وقبلت شعائر الإسلام، عُدَّت مسلمة، ويُعامَل إيمانها بحسب ظاهر حالها، وتُترك سريرتها لله تعالى.
وبعد التثبت من إسلامها، تُمنح الحماية الكاملة، ويُثبَت وضعها بين المسلمين، ولا تُعاد إلى الكفار مطلقًا؛ حمايةً لدينها وصونًا لكرامتها ومنعًا للفتنة أو الإيذاء.

هذا يبرز حرص الإسلام على سلامة المرأة، وصون إيمانها، والالتزام بالحكم الشرعي القائم على الظاهر.

قبول الإسلام والالتزام بأحكامه :
دخول المرأة في الإسلام يبدأ بالتأكد من رغبتها الصادقة، ثم بنطقها الشهادتين، فتصير مسلمة. وبعد ذلك يُعرَض عليها الإلتزام بأحكام الإسلام؛ لأن استمرار الإيمان مشروط بقبولها لأصول الانقياد لله تعالى. فمن رفضت الانقياد لأحكام الإسلام بعد ثبوت الإسلام عُدّ ذلك ارتدادًا.
وغالبًا يُكتفى بالشهادتين، وقد تُضاف البيعة على شعائر الإسلام لتأكيد قبولها الكامل للدين.
هذا يضمن أن المرأة اختارت الإسلام طوعًا، وأن مجتمع المسلمين يحفظ إيمانها دون أي صورة من الإكراه.

وينطبق الحكم نفسه على المرأة النصرانية إذا أسلمت

إذا أسلمت امرأة نصرانية، فالشهادتان تكفيان لإثبات دخولها الإسلام، ثم يُعرَض عليها الالتزام بأحكام الإسلام لضمان ثباتها في الدين.

{اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ}

الإيمان له ظاهر وباطن:

الظاهر: نطق الشهادتين وما يظهر من إلتزام المرأة بأحكام الإسلام، وهو الذي تُبنى عليه الأحكام الشرعية.

الباطن: ما ينعقد في القلب، وهو أمر لا يعلمه إلا الله تعالى.

المسلمون يتعاملون بالظاهر في كل الأحكام العملية مثل:

الزواج، والميراث، والصلاة، والتغسيل، والدفن.

التمييز بين المسلم والكافر يكون بالظاهر، مع ترك السرائر لله تعالى.

{فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ}

حكم ردّ النساء إلى الكفار :

بعد التأكد من إسلام المرأة، *يحرم* إعادتها إلى الكفار حمايةً لها من الفتنة والإكراه والتعذيب، ولضمان بقائها مستقرّة على الدين.

{لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ}

بعد نزول هذه الآية، أصبح بقاء المرأة المسلمة مع زوجها الوثني غير جائز.

قبلها، كان يمكن للمرأة أن تُسلم وتبقى مع زوجها الوثني دون أن يفسد إسلامها، أما بعد الآية فصار ذلك محرمًا.

الوثنية : عبادة الأصنام والأوثان.

مثال ذلك:

زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت زوجة لأبي العاص بن الربيع، ولم يكن قد أسلم في البداية، فبقيت على عصمته قبل نزول الآية.

وفي غزوة بدر خرج مع قريش فوقع في الأسر، فأرسلت زينب قلادة ورثتها عن أمها خديجة لفدائه، فرقّ النبي صلى الله عليه وسلم لحالها فأطلق سراحه بشرط أن يرسلها إليه.

وبعد هجرتها انفصلت عنه لأنها مسلمة وهو على الشرك.

ثم بعد سنوات أسلم أبو العاص وقدم المدينة معلنًا إسلامه، فعاد زوجًا لها على الإسلام.

ملخص المحاضرة الثامنة

حرية المرأة الحقيقية

بعد نزول الحكم، أصبح الانفصال واجبًا بين المسلمة وزوجها الوثني، كما لا يجوز للمسلم أن يبقى على زوجة وثنية غير كتابية.

أما الزواج من اليهودية أو النصرانية فمباح في الشريعة، بشرط العفة وأن تكون حرة.

تطبيق الصحابة للآية

طلق سيدنا عمر رضي الله عنه امرأتين من زوجاته لأنهما كانتا مشركتين.

مما يدل على أن المرأة المسلمة لا يجوز أن تبقى مع زوجها الكافر، ولا يجوز للكافر أن يتزوج مسلمة.

حكمة التفريق بين المرأة المسلمة والكافر :

لا يجوز لمسلمة أن تتزوج كافرًا أو أن تبقى تحت عصمته مهما كان دينه: سواء كان مشركًا أو ثنيًا أو ملحدًا.

لحماية المرأة من الفتن أو الضغط، وحماية دينها وأولادها.

لأن الكافر قد يضغط عليها أو يؤثر على دينها، وقد يربّي أولادها على عقيدته.

الحكمة من إباحة زواج الرجل المسلم من نساء أهل الكتاب (اليهودية أو النصرانية):

لأن للرجل ولاية وسلطان على الزوجة والأسرة، فيمكنه دعوتها للإسلام، ويربّي أولاده على دين الإسلام.

تحذير للفتاة المسلمة المعاصرة :

بعض بنات المسلمين يقعن في حب كافر أو نصراني، وهذا

حرام شرعًا لا يصح عقده بل يعد زنا، حتى لو وافق الولي أو وُجد شهود على العقد.

يجب توعية بنات المسلمين بالالتزام ووجوب الشرع ، لحمايتهن من الإثم ومن الضلال.

{وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}

حكم الزواج بعد انفصال المرأة المهاجرة عن الكافر

بعد انتهاء عدتها من الكافر، يجوز للمسلم الزواج بها.

بشرط أن يُعطيها مهرًا كاملًا، فهو حق لها واعتراف بكرامتها.

يجب أن يكون مهر المرأة مناسبًا لدينها ومكانتها، ولا يجوز استغلال ظروفها ولو كانت مهاجرة حديثًا للزواج منها بلا مهر.

المقصد من إعطاء المهر للمرأة
إكرام المرأة فالمهر حق خالص لها وملك مستقل.
يصونها من الاستغلال بعد انفصالها عن الزوج الكافر.
يعكس عناية الإسلام بكرامتها، سواء كانت مهاجرة أو مقيمة.

في بعض الأعراف، قد يستخدم الوالد جزءًا من المهر للمساعدة في تكاليف الزواج، ويُعد ذلك من الإحسان وكرمًا من المرأة، لكنه ليس واجبًا.
الأهم أن تكون المرأة مالكة لمهرها، وأي استخدام له يجب أن يكون بموافقتها لعذر مشروع.

حق المهر عند ارتداد الزوجة أو المرأة المهاجرة
{وَسْـَٔلُوا مَآ أَنفَقْتُمْ}
إذا ارتدت المرأة المسلمة عن الإسلام وانضمت إلى الكفار، فمن حق الزوج المسلم أن يطالب باسترداد المهر الذي دفعه لها.
{وَلْيَسْـَٔلُوا مَآ أَنفَقُوا}
العكس أيضًا:
إذا أسلمت امرأة كافرة وتركت زوجها وذهبت إلى المسلمين، فمن حق الكافر استرجاع المهر الذي دفعه لها.
الآية تطبيق عملي للقسط ومن كمال عدل الإسلام.
{ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}
الحكم إلهي، قائم على العدل والحكمة، والله يضع الشيء في موضعه.
(الآية 11)
{وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ}
لو افترضنا أن زوجًا مسلمًا ارتدت زوجته عن الإسلام وذهبت إلى الكفار، وطلب من هؤلاء الكفار استرداد مهرها، فإذا رفضوا دفعه، جاءت الآية لتوضح كيفية التعامل مع هذا الموقف.
عندما تصل نساء مسلمات جديدات إلى المدينة، ويُطالب الكفار بمهرهن، يتم خصم قيمة المهر المستحق للمرأة المرتدة من المهر المقرر للنساء المسلمات الجديدات.
{وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ}
ارتدت زوجتك أيها المسلم وذهبت منك إلى الكفار.

{فَعَاقَبْتُمْ}

تحتمل معنيين عند العلماء:

1. من العقوبة:

أي: عاقبتم الكفار بأخذ جزءٍ من المال الذي هو حقٌّ لكم، وذلك عندما يرفضون أن يعطوا المسلم المهر الذي دفعه لزوجته المرتدة.

فيُقتطع هذا المبلغ من الأموال التي سيدفعها الكفار لاحقًا مقابل مهور النساء المسلمات القادمات إلى المدينة.

2. من العقب (ما بقي)

أي: فعاقبتم بمعنى احتفظتم بالعقب، وهو ما بقي لكم من الحقوق.

فتخصمون حق الزوج المسلم أولًا من المال الذي سيدفعه الكفار، ثم يُعطى لهم الباقي.

هذا هو معنى المقاصة:

مثال توضيحي:

إن كان المسلم يطلب منهم 50,000 وهم يطلبون من المسلمين 150,000، فيُخصم حق المسلم ويبقى لهم 100,000 فقط.

فإذا كان للمسلم مهر مستحق لم يدفعه الكفار:

يُخصم حقه من المال الذي سيدفعه الكفار للمسلمات القادمات. ويُعطى للزوج المسلم قدر ما أنفق.

وإن لم يكن عند المسلمين مال للكفار ليُجرى الخصم منه

يُعطى المسلم حقه من:

الغنائم إن وقع قتال.

الفيء إن لم يقع قتال.

وذلك قبل تقسيم الغنائم، تحقيقًا للعدل وردّ الظلم.

من عدل الإسلام أنه ضمن للمسلم حق مهره كاملًا

إما عن طريق الخصم من حقوق الكفار (المقاصة)،أو من الغنيمة أو الفيء إن لم يوجد مال يُخصم منه.

(الآية 12)

{يَـٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ الْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}

تفاصيل بيعة النساء في الإسلام

النبي صلى الله عليه وسلم كان يبايع النساء على الإلتزام بشعائر الإسلام، ولكن بطريقة تختلف عن بيعة الرجال.

بنود بيعة النساء :

الإلتزام بشعائر الإسلام التالية، كما ورد في القرآن الكريم وفي أحاديث الصحابة:

عدم الشرك بالله

عدم السرقة

عدم الزنا

عدم قتل الأولاد

عدم البهتان والافتراء

طاعة المعروف.

سميت بيعة العقبة الأولى بإسم "بيعة النساء" لأنها تتطابق وتشترك مع بنود بيعة النساء.

وكلاهما يختلف عن بيعة العقبة الثانية التي تضمنت الجهاد والدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم.

طريقة المبايعة

يروى عروة بن الزبير، وهو ابن أسماء وخالته السيدة عائشة رضي الله عنها، إن عائشة أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية فقال عروة وقالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم :" قد بايعتك كلامًا" والله ما مست يده يد امرأة في مبايعة قط وما بايعهن إلا بقوله "قد بايعتك على ذلك" ثم قلن يا رسول الله، ألا تصافحنا؟ قال إني لا أصافح النساء إنما قولي لامرأة كقولي لـ مئة امرأة.

موقف النبي صلى الله عليه وسلم من مصافحة النساء

رفض النبي صلى الله عليه وسلم وهو في أشرف بقاع الأرض أن يصافح النساء أو يمس أي امرأة ليست من محارمه، حتى في أعظم البيعات.

فقال عليه الصلاة والسلام:

"إني لا أصافح النساء، إنما قولي لامرأة كقولي لمئة امرأة."

فبايعهن كلامًا فقط، كما روت السيدة عائشة رضي الله عنها:

"والله ما مسّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط إلا محارمه."

ملخص المحاضرة الثامنة

حرية المرأة الحقيقية

بعض الفتاوى الخاطئة تقول إن المصافحة تعتمد على "النية"، وهذا خطأ، لأن النية لا يمكن للإنسان أو غيره أن يعلمها بدقة، والنبي صلى الله عليه وسلم أشرف الخلق وفي أشرف موقف، وأشرف النساء امتنع عن المصافحة حفاظًا على الحكم الشرعي المطلق، وليس مرتبطًا بالنية.

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:
"ليطعن أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له."

الهدف من عدم مصافحة النساء* منعًا للفتنة، وسد ذريعة الشر وحفظ كرامة المرأة وحماية حرمة المحارم وصون للحياء والحدود الشرعية.
كما يكرم ويحافظ على غيرة الرجال وكرامتهم وحقوقهم الشرعية تجاه محارمهم.

و هو حكم مطلق يجب الالتزام به واحترام حدود الله وحماية الحرمات من الانتهاك.

بنود بيعة النساء

كانت البيعة على تفاصيل شعائر الإسلام، تشمل:

1. عدم الشرك بالله:

الإلتزام بالتوحيد والابتعاد عن الشرك الأكبر والأصغر.

2. عدم السرقة:

منع أخذ أموال الغير بغير حق.
روت هند بنت هند (زوج أبي سفيان) حادثة توضح هذا البند
سألت النبي صلى الله عليه وسلم: "أن أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطيني ما يكفيني، فهل لي أن آخذ من ماله؟" فأجابها عليه الصلاة والسلام: "خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف."
إذن، المرأة تأخذ بالقدر الكافي للمعيشة المعتادة فقط، دون إسراف أو تعدٍّ على حق زوجها.

يجب أن تستأذن عند أخذ ماليس لك حتى لو كان لأخيك.

3. عدم الزنا:

الإلتزام بالعفة والطهارة.

موقف فاطمة بنت عتبة في بيعة النساء

فقد أظهرت حياءً شديدًا عند سماع قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ولا يزنين" في البيعة.

وضعت فاطمة يدها على رأسها حياءً من الكلمة، إذ أحست بثقل المعنى وخجلت من مجرد سماعها.

تروي السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أعجب بهذا الحياء الشديد الذي ظهرت به فاطمة.

وبناءً على ذلك، قالت عائشة: "أقرّي يا أيتها المرأة" أي: بايعن على الالتزام بالشروط، فبايعن.

درس للبنات في العصر الحديث مع الانفتاح الإعلامي

تجنّب سماع الكلمات أو المشاهد المخلة بالحياء من أفلام أو مسلسلات أو برامج غير لائقة، وعدم الخوض فيه.

عدم الانصياع لما يُقدَّم على أنه "ثقافة" أو "مزاح" ويحتوي على كلام إباحي أو مشاهد غير أخلاقية.

موقف هند امرأة أبي سفيان

عندما استمعت إلى قول النبي: "ولا يزنين"، قالت مستغربة: "أتزني الحرة؟!"

قصدت بذلك أن الزنا كان يُرتكب بين الإماء أو النساء غير الحرائر في الجاهلية، أما المرأة الحرة الشريفة فلم تكن تزني.

المرأة الحرة تعني المرأة العفيفة، وأن الزنا كان مرتبطًا بالنساء دون الحريات أو الشرف في الجاهلية.

وهذا يُظهر أن العفة كانت معيارًا للمرأة الحرة في الجاهلية، وليس مجرد مصطلح حديث مرتبط بالاختيارات الشخصية.

العفة والمستوى الإجتماعي

في الجاهلية، كلما ارتفع المستوى الاجتماعي للمرأة، كلما نُدرت الفواحش وازداد سترها، وكان يُعرف شرفها من ملابسها.

وكلما قل المستوى الاجتماعي، ازدادت الفواحش والعري والزنا.

الحياء والعفة ليسا مجرد صفات شخصية، بل جزء من القيم الإسلامية العليا.

المرأة الحرة الشريفة هي التي تلتزم بما أمر الله، وتحفظ كرامتها وشرفها.

الحياء من سماع كلمة الزنا أو الحديث عنها دليل على تمسك المرأة بالقيم الأخلاقية والدينية.

4. عدم قتل الأولاد:

ففي الجاهلية كان القتل بسبب الفقر أو وأد البنات خوفًا من العار.

النساء من الجاهلية إلى الحرية الحديثة

في الجاهلية، كان قتل البنات أمرًا شائعًا في بعض القبائل، خوفًا من العار المرتبط بالزنا.

أما اليوم، فإن بعض الأسر تسمح لبناتهم بالتصرف بحرية مطلقة، دون قيود.

و كثيرٌ من الناس لا يرضون بذلك، كما لم يكن أبو جهل يرضى بقتل البنات في زمانه.

الإسلام يحظر الإجهاض بعد نفخ الروح، إلا عند تهديد حياة الأم، ويُتخذ القرار بموافقة الطبيب.

5. عدم البهتان والافتراء:

اجتناب نشر الأكاذيب والفواحش.

تحريم الزنا والنسب الكاذب

في الجاهلية: بعض النساء كن يزنّين وينسبن أولادهن لأزواجهن، أحيانًا باتفاق مع رجال آخرين للحصول على صفات وراثية.

الإسلام: حرّم الزنا والنسب الكاذب، وحفظ حقوق الأبناء والأنساب.

المقارنة بالغرب

في بعض الدول، يظهر الزنا والنسب الكاذب بكثرة، كما في برامج تكشف عدم انتماء الأولاد لآبائهم البيولوجيين.

في بعض المجتمعات الغربية، تنجب المرأة خارج إطار الزواج من خلال بنوك الحيوانات المنوية دون معرفة الأب.

الإسلام يحمي الأنساب ويصون الحقوق الأسرية والأخلاقية، بينما بعض المجتمعات الغربية يركزون على التقدم المادي والتقني دون الالتفات إلى القيم الأخلاقية والاجتماعية، مما قد يؤدي إلى فقدان الروابط الأسرية واختلاط الأنساب.

جاء الإسلام ليحمي المرأة من الإنحراف والفساد الأخلاقي، ويضمن لها العفة والحياء والأمان الأسري.

6. ولا يعصين في المعروف.

{وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}

والاستغفار لهن من الله رحمةً ورفقًا، لأن الجميع معرض للخطأ.

(الآية 13)

{ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْأَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ الْقُبُورِ}

النهي الذي جاء في أول السورة عن موالاة الكفار الذين غضب الله عليهم.

{قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْأَخِرَةِ}

يأس الكفار الذين لم يؤمنوا وبسبب كفرهم فما عندهم رجاء برحمة ولا ثواب ولا أجر.

{كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ الْقُبُورِ}

هناك احتمالان للتفسير:

1. الكفار الأحياء يئسوا من لقاء أصحاب القبور بسبب كفرهم بالبعث.
2. (من) البيانية: (تبين حال الكفار) أي كما يئس هؤلاء الكفار الذين أصبحوا في القبور من كل خير في الآخرة عندما رأوا مصيرهم من العذاب.

كلا الاحتمالين يوضح عظمة الحق والعدل الإلهي.

انتهت السورة المباركة، وفهمنا منها الكثير من الدروس الجديدة.

فرصة رائعة لحفظ سورة الممتحنة بسهولة الآن.

نسأل الله التوفيق والهداية للجميع.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك.